حلم بالمدرسة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

رأيت في المنام أني رددت تلميذاً . وقلما أذكر ما أراه في حلامي لأني أنام كالقتيل من فرط الاعياء والنصب ثم لأن اكرتي خوانة . وأحسب أن من فضل الله على أنه أعفاني من شغلان بالأحلام وتأويلها . فما ينقضي من دواعي الاضطراب لا هذا . وقد كنت في حياة أبي رحمها الله أصبح فأدخل عليها أجلس إلي جانبها على حشيّة مطروحة فوق السجادة وأمامها لوقد وعليه وتحته أدوات القهوة كلها فتصب لي شيئاً في الفنجانة تناولنيها فأسألها : « نمت نوماً مريحاً ؟ » فتقول : « لله الحمد » أسألها مرة أخرى : « أحلام لطيفة إن شاء الله ؟ » فتقص علي ارأت وأنا مصغ وبي كالذهول من شدة استغرابي لدقة الوصف إحاطته بالألوان والأصوات والاحساسات وما يدور في النفس ن معان ، وأراني أسأل نفسي وأنا أنصت : « أتراها تتخيل ؟ » لكني أعرفها صادقة تتقي الله وتخشاه فلا يسعني إلا أن أتعجب ذه القدرة التي حرمت مثلها .

وأذكر أنه لم يسؤني أني رجعت تلميذاً أجلس في الصف أصغي إلى المعلم وأجعل بالي إليه . وقلت لنفسي وأنا ماض إلى لدرسة : إن الحياة مدرسة لا تنتهي . والمرء لا يكف عن التعلم لحظة واحدة إلا حين تنقطع أنفاسه ويخرج من الدنيا . وصحيح ن أكثر ما يتعلمه الانسان في مدرسة الحياة يدفن معه فلا ينتفع ه أحد — لا هو ولا سواه — ولو كان الذي أفاده في حياته يبقى عده ويتخلف في الدنيا دونه لما كان المرء خليقاً أن يشعر بعبث لتجارب وما استطاع أن يحصل في فسحة العمر طالت أم قصرت ؛ إذ ما خير أن أتعلم وأن أحصل وأن أستخلص الحكمة والعبرة مما أجرب وأعاني إذا كان كل ذلك يطوى معي بل لا يعود له وجود ؟ ولكن ما يبدو من قلة الجدوى في النهاية لا يمنع أننا نظل نتعلم ما دمنا أحياء . وإذا كان هذا هكذا فالأولى أن يكون المرء تلميذاً جهرة وصراحة فلا يذهب يدعي أنه فرغ من التعلم وحصل كل ما ينبغي له تحصيله . وهذا الذي أصنعه الآن من استئناف عهد التلمذة هو الذي يقضي به الصدق — صدق النفس على الأقل .

ولا أذكر ما الذي ردني إلى المدرسة وكل ما أعرفه أني رأيتني أقصد اليها وأني كنت فرحاً بذلك ، وكان مي شيء أحمله ولم ألتفت إليه إلا بعد أن صرت بين التلاميذ الآخرين فقد وجدت « الفصل » غاصاً بهم ، ولكني لا أذكر منهم إلا وجه الأستاذ محمود عزمي فقد كان يجلس إلى أقصى اليمين ، وكان مكاني الذي قصدت إليه في أقصى الجنوب ، وكانت وراءه نافذة مغلقة فوضعت ما أحمل على حافتها ، وعرفت في هذه اللحظة فقط أن الذي أحمله هو قطع شتى من الحلوى والفطائر والسندوتش . وتذكرت وأنا أضع ذلك على حافة النافذة المحكمة العسكرية التي شهدت جلساتها أيام كنت أعمل في جريدة الأخبار . وكانت المحاكمة طويلة وكنت أوافي الجريدة بأنبائها مفصلة ، وكانت الجلسات تعقد في الصباح وفي المساء أيضاً كل يوم . وكنت أتعب وأجوع وأظمأ ، فكان المرحوم أمين بك الرافعي يبعث إليّ مع الخادم الذي يجيء ليأخذ مني الأوراق التي كتبتها بالسندويتش وما إليه و « بترموص » فيه عصير الليمون فكنت آكل وأشرب وأفرق

وكان الأستاذ الذي وجدته في « الفصل » شاباً وكنت أحس أني أعرفه . ولم أستغرب أن يكون شاباً ، وحدثت نفسي ان هذا خير من أساتذتي القدماء الذين كانوا جميعاً من الشيوخ ، ولا أعني الشيوخ ذوي العمائم بل من الشيوخ في السن ، ولا استثني منهم إلا واحداً هو الأستاذ الشيخ احمد الاسكندري ، أراني لا أزال أضن به أن أسلكه مع سواه ممن علموني في صغري . وقلت لنفسي وأنا واقف في مكاني — فما أذكر أني قعدت — عسى أن يسير بنا هذا الأستاذ الشاب في نهج مستقيم واتجاه سديد فقد أضلنا تعليمنا القديم وحيرنا وتركنا كالتائهين في الصحراء ، وما كان لنا من أساتذتنا السابقين مرشد أو معين ؛ وأحسبهم ما كانوا يعرفون إلا ما يعلموننا ، فلهم العذر إذا كانوا قد عجزوا عن هدايتنا وإرشادنا والأخذ بأيدينا .

وكان الأستاذ يحمل خيزرانة — فما استطعت حتى في الحلم أن أتخلص من صور المدرسة القديمة ، وكان أبرز ما فيها العصا —

وابتسمت وأنا أنظر إلى الخيزرانة فى يد المعلم ونظرت إلى الأستاذ عزمى فأدرك ما أريد وهز رأسه وابتسم ابتسامته المحببة وقال: « أيوه يا سيدى . . . لا يزال القديم على قدمه مع الأسف »

وقال الأستاذ شيئاً فهمت منه أنه يريد أن يلقى أحدنا كلمة استهلال ـ أي أن يفتتح الدرس، فأعربت عن استعدادى لألقاء الكلمة المطلوبة، فقال الأستاذ عزمى: « من أول يوم يا مازنى ؟ » فابتسمت له راضياً وتنحنحت استعداداً للكلام، وأذن لى الأستاذ فقلت كلاما لا أذكر منه مع الأسف ولا حرفاً واحداً، ولكني أذكر أني كنت وأنا أتكلم أحدث نفسى بأن الأثرة كانت تفسد على التلاميذ حياة المدرسة المشتركة فكان أحدنا إذا اشترى شيئاً من الحلوى أو « المخلل » ـ فقد كنا نشتريه قبيل الغداء ونحمله معنا إلى موائد الطعام ـ أقول إن أحدنا كان إذا اشترى شيئاً يضن به على إخوانه ولا يسمح لهم بأن يشاركوه فيه، وكان ربما ذهب إلى ركن خفي وأخرج من جيبه بعض ما فيه وراح « يبلع » قبل أن يفاجئه أحد ويطلب منه قطعة. ولكنا كبرنا الآن وعرفنا أن الأثرة عيب وأن لذة المشاركة أحلى وأطيب. وإن جديراً بى فى مستهل حياتى المدرسية الجديدة أن أستن سنة الإيثار أو على الأقل المشاركة، وأن أقلب جو المدرسة جو تعاون ومودة.

كان هذا يدور فى نفسى وأنا ألقى كلمتى، فامتدت يدى إلى النافذة واستراحت أناملى عليها إلى أن أستطيع أن أهتدى وأنا أتكلم إلى مناسبة تسمح بأن أوزع الحلوى والسندوتش على الزملاء، ولكن المناسبة لم تعرض مع الأسف لسبب خارج عن إرادتى فقد استيقظت فانتسخ الحلم قبل أن يتم. وكان الذى أيقظنى صوت دق عنيف على باب العمارة وصياح عال: « افتح يا محمود . . . إنت ميت ؟ . . »

فأخرجت الساعة من تحت الوسادة ونظرت إليها فاذا هى الثالثة صباحا، فقلت: والله إن محموداً لمعذور ! وهل كان عليه أن يظل واقفاً بالباب ينتظر مقدم صاحبنا إلى الفجر ؟ وفتح الباب ودخل الرجل ـ فقد كان رجلا كما لا أحتاج أن أقول ـ يزمجر ويبرطم وبدأ الفصل الثاني من رواية إزعاج خلق الله فى سكون الليل فقد شرع يدق باب شقته ويصيح وينادى، وبقى على هذا الحال ربع ساعة لا تنقص دقيقة. وكان الذى يثير ثائرته ويهيجه إلى ما به أن من فى بيته ـ لا أدرى من ـ لا يريدون أن يفتحوا له الباب، وكانوا يقولون له: « اذهب فنم حيث كنت » فيرج الباب ويهزه ويهدد بكسره ويدعو البواب المسكين أن يساعده على تحطيمه كأنما يمكن أن يعينه البواب على فعل كهذا . . . وأخيراً فتح الباب ووسعنى أن أضحك قليلا وأن أستأنف النوم ـ لا الأحلام مع الأسف . . . وتذكرت حكاية الرجل الذى رأي فى منامه أن واحداً يعرض عليه تسعة وتسعين جنيها وهو يأبى إلا أن تكون مائة؛ واشتد الحوار واللجاج بينهما فاستيقظ الرجل فنظر فى يديه فألفاها خاليتين فارغتين كفؤاد أم موسى، فندم وأغمض عينيه ومد كفه وقال « طيب رضينا . . . هات بقى »

كذلك أنا والله ... كنت أود أن أعود إلى حلمى لأرى ما يكون منى ومن إخوانى. وكان الذى يعنينى على الخصوص أن أعرف كيف يكون سلوكنا فى المدرسة وهل نعود إلى « الشقاوة » القديمة التى اشتهرنا بها ؟. وهل « نحوى » على المدرس كما كنا نفعل فى صبانا ؟. وهل يمكن مثلا أن ننثر الحبر الأزرق على ثيابه البيضاء حين يمر بنا ؟. ونضع سن الريشة بين « الدرج » وغطائه ونذهب نخرج منها أصواتاً قد لا تكون موسيقية ولكنها كافية لإزعاج المعلم وبلبلة خواطره وتحييره الخ الخ

والأحلام — على ما يقال — تؤول بضدها، فإذا كان هذا صحيحاً فهل معنى هذا أنى سأرتد معلماً ؟ .. أعوذ بالله .. ولا قدر الله .. لقد نجوت من هذا فلن يردنى إليه شئ كائناً ما كان. وذكرت لهذه المناسبة حادثاً مضحكا — أو لا أدرى ماذا يفعل — ذلك أنى كنت محرراً فى جريدة الأخبار. وكانت الأحكام العسكرية مرفوعة فى ذلك الوقت ولكن الرقابة التحفظية على الصحف كانت قد ألغيت، وكان صديق لى يبعث إلىّ بمقالات عن وزارة المعارف ويضع فى ذيلها اسماً مستعاراً مثل « مطلع » أو نحو ذلك فقد نسيت. وكانت هذه المقالات تقض مضجع الوزير يومئذ. وكنت أخشى أن نفاجأ بهجوم على الجريدة فتؤخذ الأصول ويعرف الكاتب فكنت أنقلها بخطي وأحرق الأصل؛ ويظهر أن أحدهم

سل بعمال المطبعة الذين لا يعرفون أن فى الأمر سراً لأنهم ون المقالات بخطى . فاقتنعت الوزارة أنى أنا الكاتب ولم تستغرب ك لأني كنت من موظفيها ومن رجال التعليم بها . وفي عدى الليالي كنت عائداً إلي البيت — وكان يومئذ فى صحراء مام — فصار كل من يلقانى هناك يقول لى: إن الشيخ (يريدون يخ الامام وهو قريبي) يطلبك فسألت عنه ، فلم أجده ، فذهبت بيتى وبت ، وفي الصباح بعث إلى الشيخ خادمه فلحقت به ال : « إركب » فركبت . وكانت له مركبة يجرها جواد أصيل سألته : « إلى أين إن شاء الله ؟ » قال « إلى وزارة المعارف » هشت وسألته : « وماذا أصنع فى وزارة المعارف ؟ » قال: « تتسلم لك » فصحت من فرط الدهشة : « عملى ؟.. ماذا تعنى ؟ » قال: جاءنى وزير المعارف أمس وأنت تعرف أنه صديقي وقال لى إنه أن المازنى قريبي وأنه يعتمد على فى اقناعك بقبول العودة إلى ظيفة كوظيفة أقرانك فى الوزارة » فأدركت أن الوزير غلط ظن أني أنا كاتب المقالات التي أقامت القيامة وقلت : « إن المسألة ها غلط . . لست كاتب المقالات » قال : « زى بعضه » قلت : هذه رشوة لا أستحقها مع الأسف » قال : « يا أخى لا تكن نونا » قلت : « مجنون . . عاقل . . كيف أستطيع أن أدخل ارة المعارف وأنا أكتب كل يوم بامضائى ضد الوزارة كلها ؟ . ى وجه ألقى الناس ؟ . . كل ذمة لها ثمن . . لا تحسب أن أحداً فع من أن يرشى . . ولكن من سوء الحظ أن هذه الرشوة رض فى الوقت الذى لا يسعنى فيه أن أقنع ضميرى بقبولها . . قد قلت لك إنى لست الكاتب كما توهمت الوزارة فأرحها وأعفها ن تكلف هذه الرشوة . »

وانتهى الأمر على هذا الوجه . وانى ليخيل لى أحيانا أنى كنت مغفلا ولكن من يدرى ؟ . . وسواء أكنت أم لم أكن أعرفنى ندمت قط على شىء مضى وفات . . ولماذا أعنى النفس اضى ولا خير في ذلك ؟ والحاضر حسبى مشغلة . والحمد لله على وفق وأعان .

ابراهيم عبد القادر المازنى

كان لمصر أسطول

فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مصر بين الدول التى دعتها الحكومة البريطانية إلى الاشتراك فى حفلة العرض البحرى الكبرى التى أقيمت لمناسبة تتويج جلالة الملك جورج السادس ، ولكن مصر اعتذرت عن إجابة هذه الدعوة لأنها لا تملك من الوحدات البحرية اللائقة ما يصلح لاشتراكها فى مثل هذا الحفل الدولى العظيم

وبالأمس احتفلت مصر بتتويج جلالة مليكها الفاروق احتفالا رائعاً يذكرنا جلاله وروعته بمجد عصورنا الذاهبة وعظمتها ، وروعة أيامها ومناسباتها المشهودة ؛ واشترك الجيش المصري الباسل بوحداته البرية والجوية فى هذه المناسبة السعيدة اشتراكا يذكرنا بماضيه العسكرى الباهر ، ويبعث إلى الأمل فى أن يغدو سراعا كما كان فى الماضى درع البلاد وحصنها الحصين

ولكننا لم نسمع للأسف صوت الأسطول المصري ، ولم نشهد أثره فى تلك المناسبات العظيمة لأن مصر لا أسطول لها

هذه الحقيقة المؤلمة يجب أن تلفت أنظار مصر المستقلة إلى مركزها الدقيق بين دول البحر الأبيض المتوسط ، وإلى ما يمكن أن تواجهه فى المستقبل من الأخطار من هذه الناحية خصوصاً فى هذا العصر الفياض بالتطورات والاحتمالات السريعة ، وفى هذه المياه التى تنذر من آن لآخر أن تضطرم بكدر الخصومات والمنافسات التى تتفاقم عواملها يوماً بعد يوم

فمصر بلد بحرى بلا ريب تمتد شواطئه إلى مسافات بعيدة على طول البحرين التاريخيين العظيمين : بحر الروم أو البحر الأبيض المتوسط ، وبحر القلزم أو البحر الأحمر ؛ وقد لعب هذان البحران العظيمان منذ فجر التاريخ فى تاريخ مصر وفى مصايرها أدواراً خطيرة ؛ وسوف يلعب كلاهما بلا ريب دوره الخطير فى مستقبلها

وقد شعرت مصر دائماً بمركزها البحرى الخطير فى هذين البحرين ، فكان لها منذ أقدم العصور أساطيل حربية تجوس